فلسطين

«صواريخ داعش» تجرّ رداً إسرائيلياً

ملاحقة حمساوية لمطلوبين سلفيين «خطيرين»

غزة ـ **هاني إبراهيم**

لا تكاد تصمد حالة الهدنة طويلاً في قطاع غزة، حتى تعود إلى التدهور. هذا السيناريو يتكرر عقب إطلاق صواريخ من القطاع على الأراضي المحتلة، تُعزى في مجملها إلى جهات/ عناصر سلفيين، وسرعان ما يعقبها ـ غالباً في الليلة نفسها ـ قصف إسرائيلي عنيف يستهدف مواقع تدريب تابعة لفصائل المقاومة تنجم عنه أضرار مادية وإصابات غالباً.

وفجر أمس، شنّت الطائرات الإسرائيلية غارتين، الأولى بأربعة صواريخ شمال قطاع غزة، والثانية بصاروخين شمال بلدة بيت لاهيا، بعدما أعلن الجيش الإسرائيلي سقوط صاروخ في منطقة مفتوحة جنوبي مدينة عسقلان المحتلة من دون وقوع إصابات. وفي كل مرة يدور الحديث عن استغلال العدو «الصواريخ العشوائية» لقصف تجهيزات للمقاومة، كالأنفاق ومخازن يظن أن فيها أسلحة، فضلاً عن مواقع تدريب.

يشار إلى أن ثمة حالة إجماع لدى الفصائل على التزام التهدئة مع الاحتلال، التي يرعاها الجانب المصري منذ نحو 3 سنوات، وهو ما يحصر الاتهام في السلفيين، ثم يتبيّن عند اعتقال بعضهم أنهم وراءها. كذلك فإن حركة «حماس» تسيّر دوريات تسمى «الضبط الميداني» على الحدود لمنع إطلاق هذه الصواريخ، فيما كانت قد تلقّت أخيراً تعليمات بالاستهداف المباشر لمطلقي الصواريخ في حال لم تتمكن من اعتقالهم.

واللافت أن جهاز «الأمن الداخلي» كان قد نشر قبل أسابيع صوراً لأربعة مطلوبين من عناصر مرتبطين بـ«السلفية الجهادية»، أبرزهم محمود طالب ومحمد مقداد من مخيم الشاطئ، وطلعت أبو جزر من خانيونس، ونور عيسى. ومثّل هذا الإعلان مرحلة جديدة من التصعيد في العلاقة بين «حماس» والسلفيين، وجاء في سياق مرحلة من التصالح بين الحركة والقاهرة التي تخوض بدورها حرباً ضد «داعش».

وتفيد مصادر أمنية، في حديث إلى «الأخبار»، بأن مطلقي الصواريخ في المدة الأخيرة «غالبيتهم أفراد ينتمون إلى السلفية الجهادية، وهم عناصر يرتبطون بقراراتهم مع أحد المطلوبين»، في إشارة إلى محمود طالب، الذي يتصدر الشخصيات القيادية للسلفيين في غزة.

وخلال حملات اعتقال سابقة، حوكم إثرها عسكرياً عدد من المعتقلين، أشير إلى اسم طالب في محاضر تحقيق مختلفة، كلها كانت تذكر أنه المسؤول المباشر عن عدد كبير من عمليات إطلاق الصواريخ.

أيضاً، تذكر تلك المصادر أن طالب تعرض سابقاً لإصابة على أبدي عناصر من جهاز «الأمن الوقائي» خلال مرحلة الانقسام بين «حماس» و«فتح» عامي 2006 و2007، قبل أن يبايع تنظيم «القاعدة»، ثم تحوّل مع عدد من رفاقه إلى مناصرة «داعش». وتضيف المصادر نفسها أنها أحبطت «محاولة لإشعال حرب على غزة قبيل اغتيال القيادي في كتائب القسام مازن فقها (في آذار الماضي)». وكانت خطة السلفيين تقضي بتتبّع «مرابض الصواريخ» الخاصة بالمقاومة، ولا سيما البعيدة المدى، لاختيار «اللحظة الصفر» لإطلاق أكبر عدد من الصواريخ، بما يؤدي إلى ردّ فعل قوي يقود نحو حرب.

وكانت تحقيقات سابقة قد كشفت (راجع العدد 3056 في 13 كانون الأول 2016) أنه إلى جانب إطلاق الصواريخ، أقرّ عناصر سلفيون بنيّتهم «استهداف المدنيين وشخصيات أمنية وأماكن عامة لفتح حرب استنزاف». لكن مصادر أخرى في «حماس» تروي أن التحقيقات الأخيرة أظهرت «تورط جهاز المخابرات في رام الله ووقوفه خلف بعض هذه المجموعات، ومنها من يقف خلفها طالب، إلى جانب تنسيقه مع شخصيات تقيم في العريش».

وبصورة عامة، تدرك المقاومة أن حربها مع «داعش» مرتبطة بالمواجهة مع العدو الإسرائيلي، إذ تبيّن في كل مراحل المواجهة السابقة وجود ارتباط بين من يدير هؤلاء الأفراد وأجهزة استخبارات عربية وأجنبية إلى جانب «الشاباك». وتكرر ذلك بعد اعتراف قاتل الشهيد فقها ـ كان محسوباً على السلفيين ـ بأن من جنّده شخص كويتي الجنسية (أ. ك.) قبل أن يتبيّن له أنه مجنّد إسرائيلياً. ووفق المصادر الأمنية، فإن آخرين يجري البحث عنهم توجد شبهات قوية في ارتباطهم بمشغّلين خارجيين.

> يرتبط أغلب عناصر السلفية الجهادية بأجهزة استخبارات خارجية

تدرك المقاومة أن حربها مع «داعش» مرتبطة بالمواجهة مع إسرائيل (الأناضول)

الوطني الكردستاني موقفهم الرافض للاستفتاء بنحو واضح»، مضيفاً أن «طهران ساعدت الإقليم في الحرب ضد داعش، ويمكن أن تتوقف عن تقديم العون له في حال وجود تحركات كُردية ضد مصالحها».

ووفق دباغ، تعوّل طهران على موقف الحكومة العراقية برئاسة حيدر العبادي، بخصوص الاستفتاء، وقد أبدا المسؤولون الإيرانيون استعدادهم للمساعدة في حلحلة القضايا العالقة بين بغداد وأربيل. ويواجه البرزاني التحذير والتهديد بالتمسّك والإصرار، و«الرغبة في إجراء الاستفتاء بشكل سلمي، وإقامة أقوى العلاقات مع بغداد ودول الجوار». وإن كان حلم البرزاني بتحقيق الانفصال «اليوم قبل الغد»، فإنه يربط قيام الدولة الكردية المستقلة، بـ«إرادة وقرار الشعب الكردي فقط»، فـ«قيادة الإقليم ستحقق رغبة شعبها، سواء بالتصويت الإيجابي أو السلبي»، على حدّ تعبيره.

بدوره، أكّد رئيس «التحالف الوطني» عمار الحكيم أهمية اعتماد الحوار لحل المشاكل بين بغداد وأربيل، مشدّداً على ضرورة إيجاد علاقات متوازنة بين العراق ودول المنطقة. وخلال استقباله مستشار وزارة الخارجية الألمانية، أكهارد بروزه والسفير الألماني الجديد في العراق بريل نون، دعا رئيس تيّار «الحكمة الوطني» إلى «إجراء الانتخابات في موعدها المقرر»، مبيناً أهمية «انفتاح تيار الحكمة على جميع مكونات الشعب».

(الأخبار)

مقالة

بين الرياضة والسياسة: التنابذ بالأوطان

عبدالله السناوي*

في أي أزمة أطرافها دول عربية، بات من المعتاد الخروج عن قواعد «اللعب النظيف» وغلبة لغة الكراهية والتحريض والتنابذ بالأوطان حيث يعتقد كل طرف أنه يوجع ويؤذي المشاعر العامة للطرف الآخر. لكل أزمة أياً كانت طبيعتها، سياق وحدود ـ وهذه تستدعي ضوابط وأصولاً في الرياضة، كما السياسة. عندما تغيب الضوابط فإن فوضى العبارات والتصرفات بالإمعان في التجريح تأخذ في طريقها كل قيمة إنسانية وكل مشترك قومي.

مع بدء ثورة الاتصالات ساد تصور أن الوسائل الجديدة سوف تساعد العالم العربي على اكتشاف ما يجمعه من روابط وصلات ووحدة مصائر، غير أن ما جرى جاء على العكس تماماً. بأي مراجعة لسجل الأزمات العربية في السنوات الأخيرة، يتبدى أنّ التفلت في وسائل التواصل الاجتماعي وعبر الصحف والشاشات ببعض الأحيان، سمة رئيسية متكررة.

وقد كانت تداعيات المباراة النهائية في البطولة العربية للأندية (في نهاية الأسبوع الماضي) بين «الترجي» التونسي و«الفيصلي» الأردني واحدة من تجليات ذلك التفلت، لكنها لم تكن الأسوأ ولا الأخطر بالقياس إلى أزمات أخرى سياسية ورياضية.

بإجماع النقاد الرياضيين المصريين أخطأ الحكم في احتساب هدف من تسلل واضح للأول على حساب الثاني حسم نتيجة البطولة. في مثل هذه الحالة، التي تعرفها ملاعب كرة القدم، الاحتجاج بالوسائل القانونية المتعارف عليها مشروع تماماً وحق أصيل. غير أن الاعتداء البدني على حكم المباراة قضية أخرى تنال من سمعة الفريق الذي ربما كان يستحق نيل اللقب العربي. ثم كان الأسوأ أن جهازه الفني تورط في الاعتداء نفسه وجمهوره الذي حضر المباراة خرب شيئاً من الاستاد. شغب الملاعب مما هو معتاد في العالم بأسره وما يردعه وضوح القوانين وصرامة تنفيذها من الجهات المختصة. عندما تغيب القواعد تضيع الحقوق. وعندما لا نصارح أنفسنا بالحقائق فإن مثل هذه الحوادث سوف تتكرر بأسماء جديدة وأبطال جدد وربما بصورة أفدح.

لقد تصادف أن الحكم المخطئ مصري والمباراة على استاد مصري.

هكذا تناثرت عبارات لا تصح ولا تقبل بحق المصريين كلهم، على شبكة التواصل الاجتماعي وهناك من رد بالمثل، كما هي العادة في أي مشاحنات من مثل هذا النوع. وهكذا خرجت أزمة مباراة كرة قدم عن نطاقها وتفاقمت سلبياتها. بالتوقيت، فإن الشعبين الشقيقين يحتاج كلاهما إلى الآخر في لحظة تقرير مصائر العالم العربي بعد الحرب على «داعش» وعند البدء في أي تقسيمات محتملة. المشرق العربي، بما فيه الأردن ولبنان، تحت التهديد ومصر ليست بعيدة عن سيناريوهات الخطر الداهم إذا ما قسمت سوريا والعراق، والقضية الفلسطينية تكاد أن يقصم ظهرها بصفقات محتملةالتلاسن لا هو صحيح أخلاقياً ولا مفيد سياسياً ولا يؤسّس لأي تضامن حول أي قضية.

في مثل هذا النوع من الملاسنات، تتبدى أسباب سياسية واجتماعية وثقافية عنوانها العام البحث عن متنفس للضيق الفادح بالأحوال الماثلة. تحت وطأة هزائم الروح والسياسات فإنه بحث عن «عدو مفترض» بدلاً من العدو الحاضر، حتى لو كان هذا العدو المفترض أخاً وشقيقاً.

بصياغة أخرى، فإنه هرب من الحاضر وقسوته بأكثر الألفاظ والتصرفات توغلاً في الغلاظة، كأنها حلّ لكلّ المشاكل وعلاج لكلّ الجروح. كما أن الغلاظة المفرطة تعبير عن أزمة عميقة في الثقافة العامة حيث تتعرض الهوية العربية للتآكل والتجريف والتشكيك فيها دون أن يكون هناك إدراك كاف لمغبة الملاسنات المتفلتة من كل قيد.

رغم الأجواء السلبية، التي أعقبت تلك المباراة، إلا أنها تظل محدودة وبعد حين سوف تتراجع ذكراها غير أن عمق الدلالات عما يحدث تحت السطح أهم من ظاهر الحوادث.

وقد كانت تداعيات مباراة أخرى في عام 2009 بين مصر والجزائر بتصفيات كأس العالم لكرة القدم كاشفة لما هو تحت السطح وما قد يحدث تالياً. في أجواء مسمومة جرى التنكر لكل قيمة مشتركة وأهدر التاريخ على نحو فادح فيما يشبه الهيستيريا الجماعية.

بدت المشاهد عاراً تاريخياً لا مثيل له، تعبئة إعلامية وسياسية جرفت في طريقها أي أواصر مشتركة، تظاهرات بالآلاف أمام السفارات والهيئات التابعة للدولة الأخرى واعتداءات على مواطنيها بلا أدنى جريرة كأن كلا البلدين وجد أخيراً عدوه!

في تلك الهيستيريا، التي سادت الشوارع، بدا أن هناك من يغذيها لحرف الانتباه عن الأزمات الحقيقية ومدى الفشل الذي يعانيه نظاما الحكم.

باستثناء أصوات تعد على أصابع اليدين، لم يكن هناك من جرأ على الوقوف أمام نوبات التحريض والكراهية وإهالة التراب على معارك المصير الواحد، التي خاضها الشعبان معاً في أوقات سابقة، حيث دعمت مصر بالمال والسلاح والإعلام الثورة الجزائرية حتى الاستقلال واستعادت وجهها العربي دون أن تمنّ على شعبها بما أعطت وبذلت اقتناعاً بوحدة المصير العربي.

وقد كان مثيراً أن الذين لم يعطوا أو يبذلوا شيئاً أمعنوا في المنّ دون أن يتورعوا عن تعمّد إهانة الثورة الجزائرية ـ ثورة المليون ونصف المليون شهيد ـ بأسوأ العبارات التي لا يصح أن توضع على ورق. في المقابل، فإن الجزائر سارعت في الأيام الأولى بعد الهزيمة العسكرية، التي لحقت بمصر في عام 1967، إلى عرض تعويضها عن السلاح الذي فقدته، وذهب رئيسها هواري بومدين إلى موسكو لهذا الغرض دون إخطار مسبق للرئيس جمال عبدالناصر، بما انتواهُ، كما حاربت قوات جزائرية ضمن قوات عربية أخرى في حرب 1973.

في تلك الأيام القاسية بوطأتها اقترح مؤسس صوت العرب الأستاذ أحمد سعيد، أن أجري حواراً بالهاتف مع زعيم الثورة الجزائرية الرئيس الأسبق أحمد بن بللا، فقد تساعد تصريحاته على تخفيف غلواء الأزمة المتفاقمة فهو عروبي هواه «مصري» ويصف نفسه بأنه «ناصري»، وجرت اتصالات مع السيدة قرينته زهرة في جنيف لمعرفة أين هو حتى يمكن التواصل معه، غير أن الأستاذ محمد حسنين هيكل كان له رأي آخر خشية أن يفضي الحوار إلى إحراج الرئيس بن بللا.

إلى هذا الحد كانت الأجواء مسمومة وهياج المشاعر بلا سقف.

من بوسعه الآن أن يدافع عن عار ما جرى؟

الحقائق تقول كلمتها في النهاية.

أهم تلك الحقائق أن الأزمات الكبرى لا يمكن إخفاؤها باصطناع أعداء افتراضيين، أو بالبحث عن أمل مراوغ بين أقدام اللاعبين. رغم التوظيف السياسي للفتنة والكراهية فإن ما جرى في شوارع القاهرة أخذ بعد شهور قليلة اتجاهاً آخر ضد نظام حكم الرئيس الأسبق حسني مبارك في مليونيات ثورة «يناير». نفس الجماهير تحركت لكن بدواعي التغيير هذه المرة.

في تداعيات الأزمة الأخيرة لم يكن هناك مثل هذا التوظيف، لكن لم تكن الإجراءات القانونية والتأديبية مقنعة بأن هناك قواعد تحترم وأهمها تقبّل الهزيمة مثل المكسب، فذلك من طبيعة الرياضة والتنافس، وإذا ما حدث خلل تحكيمي فإنه لا يبرر الاعتداء والتخريب وشطط التنابذ بالأوطان.

إذا لم تكن هناك روادع صارمة لمثل هذا الشطط الشائع عند كل أزمة عربية فإن العواقب سوف تكون وخيمة بقدر ما ينكسر ما يطلق عليه «وحدة المصير العربي».

***كاتب وصحافي مصري**